لبعده عن تلك اللطائف، وتقاعده عن بلوغ المعارف، كيف وما هو عليه من الجد في السير الى الله تعالى
٥ رحلة لم يزل ينتدي الصيف اذا ما نويتها والشتا ٥ رحلة عظيمة عن مواطن الشهوات وبواطن
الشبهات، وقبائح الارادات، وقواطع البطالات، ورحلتهم هذه عزّ علي ان اقتفيهم فيها لاني لم ازل ينتدي
اي يكذب علي او يضعف رأي الصيف اذا ما زاد نويتها والشتا كذلك اي اذا جاء الشتا انوي الى
الصيف لان الشتا يكثر فيه البرد والثلوج والامطار فيعسر السير فيها واذا جاء الصيف اقول اصبر بها الى الشتا
لان الاعمال تتيسر فيه اكثر ومن ثم قال عمر الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه ٩
وما اوجب ابطائي عن تلك الرحلة انه ٥ يتقي حرًّا وهي الحر والبرد وقد عز من لظى الاتقا ٥
يتقي حرا وهي وهو ما يبدو من الوجه الحر والبرد باتقاء عنهما خوفا من مشقتهما وهما تاتيان عن شقة العبادة
في الشتا والصيف كما ان في البيت الذي قبله كذلك والحال انه قد عز اي صعب علي من لظى اي جهنم متعلق
بقوله الاتقاء لاني تلبس ما يؤول بي اليها الآن تيمني لسد حرمته ولاجل هذا
٥ ضقت ذرعا مما جنيت فيومي قمطرير وليلي درعا ٥ ضقت ذرعا بالجمع من اجل ما موصولة او مصدرية
جنيت اي ضعفت طاقتي عن ان تحمل وزره ولم اجد مخلصي من ثقله واصل الذرع الخلق فيومي قمطرير
اي شديد وهذا الذكر عن الرحلة والصيف والشتا وضقت ذرعا فيه اقتباس من الايات المذكور فيها
ذلك وتلميح الى ما فيها من القصص وليلي درعا بالمهملة اي مظلم كناية عن شدة ما يلقى فيها واصل الدرعا
التي يطلع قمرها عند الفجر ومراده ان ذلك الضيق ملازم له نهارا وليلا لا ينفك عنه في واحد منهما ٩
٥ وتذكرت رحمة الله فالبشر لوجهي اني انحي تلقا ٥ ولكن خفف عني فاني تذكرت رحمة الله
اي سعتها التي دل عليها قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء وانها سبقت غضبه كما دل عليه الحديث الصحيح ان الله كتب
كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي اي ان مظاهر الرحمة غلبت مظاهر الغضب وهذه العندية
عندية الشرف والمكانة لا المكان لتعاليه تعالى عنه علوا كبيرا فبسبب ذلك البشر اي الفرح والسرور لوجهي
متعلق بالبشر وهو تلقا اني اي في اي مكان انحي اي اتوجه تلقا اي مقابل اي فالبشر يقابل الوجهي
في اي مكان توجهت اليه لاني مستشعر لسعة الرحمة ومعول عليها نظرا الى قول الصادق المصدوق
الذي

الذي لا ينطق عن الهوى عن ربه انا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا
٥ فالرجا تلو الخوف بالقلب وللخوف والرجا اخفا ٥ فبسبب تذكري لما جنيت المقتضي
لمزيد الخوف وسعة الرحمة المقتضي لسعة الرجا صح اي اقام الرجا والخوف بالقلب فهما على حد سوا كما هو
الراجح عند ائمتنا ان الانسان ما دام صحيحا فليكن رجاؤه وخوفه مستويين وقيل يغلب الرجا لئلا
يغلب عليه داء الياس من رحمة الله وقيل يغلب الخوف لئلا يغلب عليه داء الامن من مكر الله ووجههما
انهما اذا استويا امنت عليه احدهما فلا محذور يخشى ح بخلاف غلبة احدهما فانه يخشى منها المحذور
الذي في مقابله اما المريض فيغلب الرجا لقوله عم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله
اي يظن انه يغفر له ويرحمه وللخوف والرجا اذا تواردا على القلب اخفا اي استقصا ومنازعة
لتضاد مقتضاهما اذ مقتضى الخوف اعتراض وحصر للنفس لا يطاقان لان من لازمه الكف عن كل محرم
بل وشبهة بل وعما فضل عن حاجة من الحلال كما هو شأن الزاهدين اذ لم يحملهم على ذلك الا عظيم خوفهم ولو
من هول السؤال ومقتضى الرجا بسط النفس وانشراحها لان من لازمه استحضار سعة الرحمة وان الذنوب
وان كثرت وعظمت يغفرها الله تعالى ويتجاوز عنها بكرمه واذا تضاد مقتضاهما لزم ان كلا يستقصي في مقتضاه
ضد ما يستقصيه الاخر لكن تقرر ان الاولى للصحيح ان يستوي عنده المقتضيان لئلا يغلب احدهما فيخشى
منه المحذور السابق انفا ومن ثم قال ناهيا عن غلبة الخوف المقتضي للياس
٥ صاح لا تاس ان ضعفت عن الطاعة واستاثرت بها الاقويا ٥ صاح اي يا صاحبي وفيه تجريد
اذ الاصل يا نفسي لا تاس من رحمة الله ان ضعفت عن الدأب في الطاعة لضعف همتك وغلبة
بطالتك وايثارك الراحة وغفلتك عن اهوال القيمة واستاثرت اي انفردت بها الاقويا
بالهمة والنشاط وقهر النفس وتجريبها الكد وتا حتى تدربت عليها فصارت عندهم من المالوفات واعظم
مشتهياتها ٥ ان لله رحمة واحق الناس منه بالرحمة الضعفا ٥ ان فيه شائبة تعليل للنهي عن
الياس ان ضعفت عن الطاعة لله رحمة عظيمة ادخرها للبعض لا تعم القوي والضعيف والشريف
والوضيع واحق الناس منه متعلق بقوله بالرحمة الضعفا اي الذين لا يعولون على اعمالهم ولا يغترون باحوالهم

Copyright © King Saud University